عثمان الموصلي في بغداد



محمود العبطة

طبع بمطبعة شفيق - بغداد

عثمان الموصلي في بغداد

محمود العبطة

١٩٧٣
سنة

ـ عثمان الموصلي في بغداد ـ

الاهـــداء

سيدي الاستاذ ابو قاسم المحترم

تحية وبعد :

فقد امضينا سويعات من ليالي الصيف الماضي في مقهى الاخ ابو نعيم نتحدث في الغناء وفي الفن والمقام .. وكنا ـ ولا زلنا ـ نتمتـــع بمواهب وعبقرية (القبانجي) ، وفي هذا الشتاء اكملت هذه الرسالة وهي عن عبقري الفن والغناء الشيخ عثمان الموصلي وحياته في بغداد ، فاردت اهداءها اليك كعرفان بجميلك على الفن العراقـي الاصيل من جانبي الغناء والشعر الشعبي .

ولكـم احترامي .

المؤلف

الملا عثمان الموصلي ...

- بلبل القسطنطينية ومصر والشام والعراق
« ابراهيم الواعظ ـ الروض الازهر . ص. ٤٩٨ » .

- الاديب الفاضل . والمقرىء الكامل والموسيقار الكبير .
« عباس العزاوي ـ تاريخ الادب العربي في العراق . ص ٣٢٧ »

- كان صادقا في مهمته غيورا على مصالح امته ومواقفه الوطنية في الثورة العراقية اكثر من ان تذكر .

- واصبح غناؤه من ضروريات الحياة في نظر الناس ...
« محمد بهجت الاثري . لغة العرب ع ـ ٥ ـ ١٩٢٦ »

- والى الملا عثمان تنسب عشرات التنزيلات والاشغال المولد به المستعملة اليوم في المولد النبوي » .
« جلال الحنفي ـ المغنون البغداديون . ص. ٨٨ » .

- واحسن قارىء يجيد تلاوة المنقبة النبوية هو ملا عثمان الموصلي.
« عبدالكريم العلاف » مجلة المناهل ع ١٦ ـ ١٩٦٤ .

- وهو الذي قنن قواعد المنقبة النبوية ذات الطابع البغدادي الفريد .

« ..... الفولكلور في بغداد ص ٨٧ ـ ١٩٦٣ »

مقدمة ودعوة

هذه دراسة عن فترة من حياة الموسيقار العالم الشاعر المغني الموهوب الحافظ عثمان الموصلي المولوي ، لعلها تعطي القارىء صورة عن اعماله واثره في الحياة الفنية في بغداد في الجيل الماضي . وهي جزء من سلسلة طويلة بدأ المؤلف عرضها على القراء المحترمين في سنوات خلت بمطبوعات عدة ، وقد شجعه على المضي قدما في ربط حلقاتها القبول الحسن من لدن القراء والصحافة الادبية والاصدقاء ، وهو يجعل في هذه الدراسة من عثمان الموصلي ، رائدا للموسيقى العراقية الحديثة ويطلب من المسؤولين تطوير مدرسة الموصلي ، على ان تكون الموسيقى والاغنية العراقية التي سعى الى ايجادها في الجيل الماضي ، جزء من الحياة اليومية للمواطن العراقي ، ترتفع في ذوقه وتحمس شعوره وعواطفه وتخلق منه انسانا سويا .. ان اهتمام المسؤولين بالموسيقى الشرقية والغربية ونمو الفرقة الموسيقية السمفونية في بلدنا وتطورها ، ضرورة وطنية كبرى لا تقل اهمية عن نجاح الاصلاح الزراعي وتأميم النفط والتعليم الالزامي ، وان مناسبة الاحتفال بمرور نصف قرن على وفاة الموصلي عثمان وانعقاد مؤتمر الموسيقى العربية في ١٩٦٤ في بغداد . فرص حية لاتخاذ الوسائل المجدية والناجحة

لتقدم واشاعة الموسيقى العراقية على اختلاف مذاهبها وانماطها وهـي علامات طريق للمستقبل المرجو لموسيقانا وغنائنا الوطنيين .

هذا وفي الدراسة ؛ بقسمها الثاني عرض للون خاص من غنائنـا وشعرنا الوطني ، طـور اسسه وقواعده عثمان الموصلي ، يرجو المؤلف من القائمين على ثقافتنا الوطنية الاهتمام به ورعايته بعد تسرب الاختلال عليه في السنوات الاخيرة كما هو معروض في مكانه .

واخيرا ، فان عثمان الموصلي من نوابغ العراق الذي لم يلـق العناية الكافية من ابناء بغداد ، وان لقي العناية ، او بعضها ، من ابنـاء بلده الموصل الحدباء ، والمؤلف يرجو اخيرا المنافسة الحرة في هـذا السبيل بين البلدين العريقين .

بغداد ـ الكرخ　　　　محمود العبطة

١٩٧٢/١٢/٢٢

(القسم الأول)

حيـاة عثمان الموصلي ومواهبـه ..

عاش عثمان الموصلي فترة حية من تاريخ العراق الحديث ،كان الوطن فيها يئن من المستعمر الاجنبي ويحاول الافلات من الطـوق ويسهم في ثورة الدستور ويشارك ابناؤه في الحياة العامة لاجل تغيير الواقع الاجتماعي ، ولم يصبهم النجـاح وان لمعت خيوط الفجر ، فوجد الوطن في ابنائه العزاء والرجاء والامل ، وكان عثمان الموصلي بما حبته الطبيعة من ذكاء والمعية وقوة الشخصية ، وتعدد المواهب ، من اولئك النفر الكريم الذي احس بجروح الجماهير ولمس عمق تلكم الجروح ، فأراد علاجها باللحن الجميل والصوت الدافىء والشـعر الرقيق والنكتة الذكية ، فلعب دورا هاما في هذا السبيل .. وهـو احب بغداد كأحد ابنائها ، فكلما نزح منها للحج او للدرس ، او ابعد عنها بالقوة والاكراه عاد اليها يملؤه الشوق ، وكان بأمكانه ان يعيش معيشة الامراء في الاستانة او القاهرة او دمشق ، يخدم الخليفـة او السلطان او الامير وهو الحبيب الى قلوب اولئـك . يمدحهم وينال جوائزهم ومنحهم . لكنه آثر الفقر مع الحرية وآثر الوطن على سائر الامصار ، واحب بغداد بامجادها ورجولة اهليها ومحبتهم له وتقديرهم اياه ، يدخل بيوتها ويجول دروبها ويفرح بفرح ابنـائها ويبكي ببكائهم ! وخطبه واهازيجه في الاجتماعات الوطنية في مساجد بغـداد تجعل منه وطنياً من الطراز الاول . اذ لم يعمل ما عمل لاجل كرسي او مال او جاه بل لاجل الوطن وحريته واستقلاله .

- ١ -

ولد في الموصل في عام ١٨٥٤ المصادف لعام ١٢٧١هـ وأثبـت تاريخ مولده كل المعاصرين له وهم الاسـاتذة الاثري والواعـظ والعلاف[١] ، ويخالفهم الشيخ جلال الحنفي الذي يجعل تاريخ ميلاده في عام ١٢٥٦[٢] وأبوه هو الحاج عبدالله بن الحاج فتحي بن عليوي المنسوب الى بيت الطحان في الموصل ، ويذكر الحنفي ان اسم جـده هـو عمر[٣] وتوفى ابوه وهو صغير وكان كفيف البصر فكفله ورعاه أحد سراة الحدباء وهو المرحوم محمود منيب العمري ، اذ أرسله الى الكتاب لحفظ القرآن الكريم والى المدارس الدينية التي كانت وافرة في الموصل آنذاك ، فأخذ من شيوخها علوم الجادة ، ومال بحكم غريزته الى تجويد القرآن وانشاد الاشعار ، وكان يتميز على اقرانه بالالمعيـة وحدة الذكاء والثقة بالنفس ، وبعد وفاة العمري منيب في الموصـل عام ١٨٦٥ شد عثمان الرحال الى بغداد بعد أن سمع أخبارها من أبناء بلده التجار او علماء الدين أو موظفي الدولة العثمانية ، وانها المدينة التي سيجد فيها ما يتمناه ويرغب فيه حيث كانت تعج بالعلماء والادباء والمغنين والموسيقيين ورجال الطرق الصوفية وهم ثمرة النهضة الثقافية التي وضع أساسها الوالي المصلح داود باشا قبل جيـل من الزمان ،

---

(١) مجلة لغة العرب ع ٥ - ٩٢٦ والروض الازهر ص ٤٩٨ ومجلة المناهل .

(٢) المغنون البغداديون ص ٧٨ .

(٣) المصدر السابق .

بخاصة وان عددا من أبناء بلده يحلون بغداد ومنهم من وصل المناصب العالية في الدولة ومنهم شيوخ الجوامع والادباء الكبار والتجار وذوو النفوذ ، فنزل في بيت الاديب العالم أحمد عزت باشا ابن محمود العمري الذي أخذ بيده وهو طفل يتيم كما مر في أول هذا الفصل ، وأغدق الابن أفضاله على عثمان وجعله واحدا من أبناء بيته ، وأحمد عزت هذا هو المحرر العراقي الاول لجريدة الزوراء أول صحيفة تصدر في بغداد في عهد الوالي العظيم مدحت باشا الذي تولى الولاية في عام ١٨٦٩ ، وله آثار ادبية وعلمية أخرى . وسرعان ما تعارف على رجالات بغـــداد وأشتهر اسمه فيها كما يقول الاستاذ محمد بهجت الاثري في بحثه القيم عنه[١] وفي بغداد أخذ أصول المقام العراقي من الحاج عبدالله الكركولي ومن رحمة الله بن ســلطان (توفي في ١٢٨٨ هـ) المشهور بلقـــب (شلناغ)[٢] وهو استاذ أحمد زيدان ورباز وأمين ابن الحمامجيــة وغيرهم من شيوخ المقام العراقي وكان عمره حينذاك بضعة عشر عاما والى جانب ذلك فقد تتلمذ على العلامة الشيخ داود وعلى الشيخ بهاء الحق الهندي ثم سافر الى الحجاز لاداء فريضة الحج ، ومن مكة توجه الى بلدته الموصل عن طريق القوافل ، وبقي فيها بين اقاربه مدة قصيرة قرأ خلالها القراءات الســبع على الشيخ محمد بن الحـــاج حسن الموصلي ، ولم يرجع الى وطنه بغداد بل أراد اكمال تحصيله العلمي والفني وصقل مواهبه الثرة ، فتوجه الى عاصمة الخلافة استانبول حيث

---

(١) مجلة لغة العرب (بغداد) ع (٥) ١٩٢٦ .

(٢) المغنون البغداديون للاستاذ جلال الحنفي ص (٨٧) .

تم له الاتصال بأهل الطرق الصوفية وأخذ الطريقة المولوية والقادرية في هذه المدينة من أربابها وكانت أسواق الطرق رائجة في عهد السلطان عبدالحميد ، وهنا يجب أن نشير الى ان الطريقة المولوية تجيز استعمال الآلات الموسيقية بأنواعها عند القيام بحفلات الذكر ومن الطبيعي أن يتعلم صاحبنا الموصلي أساليب استعمال هذه الآلات وان يجيد في ذلك ، وقد ارتدى زي المولوية الخاص وهو عبارة عن جبة واسعة صفراء اللون وعمامة صفراء أيضا ملفوفة على طربوش بنفس اللون يمتاز بطوله • وأرسل من قبل البلاط الى طرابلس الغرب بمهمة سياسية فقابل السيد السنوسي ومر في القاهرة وفي سوريا ومن ثم رجع الى العاصمة وأخبر البلاط بفشل مهمته الى طرابلس ، ثم ساقه الحنين الى بغداد فرجع اليها ثانية وهو بزي جديد وقد صقلته الاسفار والتجارب ، وما ان حل بدار السلام وقبل أن يطيب له المقام وينصرف الى مهامه حتى نفاه والي بغداد تقي الدين باشا الى سيواس وهي قرية على البحر الاسود ، وقد تولى هذا الوالي الولاية للمرة الاولى في ١٨٦٧ عندما كان عثمان حدثا ، وتولاها للمرة الثانية في ١٨٧٩ وفي منتهى مدة الولاية المصادف ١٨٨٦ تقرر نفيه ، كما أشارنا ، بحجة دعايته لملك دولة أجنبية[1] • وانطلقت مواهب الرجل بعد النفي ! اذ توجه الى استانبول التي لم تعد غريبة عليه وكانت فيها جالية عراقية كبيرة احتفت به ، وكان لا يفارقه فيها شخص موصلي اسمه يونس وتوظف واعظا في احدى مساجدها ثم عين استاذا للموسيقى في احدى مدارسها ، ويشير

(١) الاثري والعلاف في مجلة المناهل (بغداد) ع (١٦) •

الاستاذ الاثري انه تزوج فيها وانه فتح مكتبة لبيع الكتب ، وأخبر المؤلف أكثر من واحد انه عين قارئا في القصر وفي جامع أيا صوفيا ومنهم الحافظ عبدالفتاح معروف والسيد احمد عزت المصرف ، وقصد الديار العربية من استانبول في ١٨٩٥ ، حيث حل ببيروت وفي دمشق الشام ، ثم توجه الى القاهرة فمكث فيها هادىء البال حيث رعاه فيها فريق من أبناء عبدالباقي العمري الموصلي ، الذين اتخذوا مصر مقاماً ولا يزال أبناؤهم فيها حتى اليوم ، وفي القاهرة شرح ديوان العمري وطبع عددا مهما من المؤلفات باسمه ، كما أصدر مجلة أدبية فيها أسماها (المعارف) لم تعش طويلا ، وأخذ في تنمية مواهبه الفنية اذ قرأ على شيوخ القاهرة القراءات العشر ، وقد مر انه قرأ القراءات السبع على أحد شيوخ الموصل ، وهذا منتهى ما يطلبه مجود القرآن الكريم . وفي القاهرة التف حوله الموسيقيون والمغنون ، ويقول الاثري في هذا الشأن ... وأعجب به المصريون وتتلمذ عليه كثيرون في الموسيقى التركي ، كما جاء في كتاب الموسيقى الشرقي لمحمد كامل الخلعي[1] . وأشهر تلامذته المغنى المصري سيد درويش بشهادة الدكتور حنفي والاستاذ عباس العقاد والاستاذ زكريا أحمد[2] ، وكانت مصر حينما حل فيها الحافظ عثمان تزخر بنشاطات أدبية وفنية وسياسية يقوم بحمايتها الامير عباس حلمي ويحل فيها كثيرون من أحرار الادباء العرب كأديب اسحق والكواكبي وخليل مطران وغيرهم .

---

(١) الاثري .

(٢) صبري ابو المجد في كتابه (زكريا احمد) ص (٩٦) .

ورجع للمرة الاخيرة الى استانبول ثم توجه منها الى بغداد حتى نهاية حياته وذلك في العشرة الاولى من القرن العشرين ، فحل ضيفاً في دار الحاج حسين عبـــدالله خيوكة في رأس الجســـر من رصافة بغـــداد . ومن المناســـب الاشارة هنا ، ان هـــذه الدار كانت موقوفة ، وان شرط الواقف ينص على صرف غلتها وأمـــلاك أخرى على قراء القرآن في بغداد .. ونزول الحافظ عثمان جاء في مكانه لانه من حفظته ومن المجودين الافذاذ فيه ، وغدا اسمه على كل لسان بعد أن قام بعدة حفلات لتلاوة المنقبة النبوية ، وأخذ يقـــرأ القرآن في المساجد الكبيرة ويغني في البيوت في المناســـبات العديدة ، ويقول الاثري الذي كان يسكن بدار والده المقابل لدار آل خيوكة انه (أصبح غناؤه من ضروريات الحياة في نظر الناس ، فما كانوا يسمعون به يقرأ في بيت الا وانسلوا اليه من كل حدب وضاق به المكان بالشيب والشبان[1] ويقول تلميذه المرحوم عبدالكريم العلاف ... (ولما عاد الى بغداد عكف على ما كان عليه من تلاوة المنقبة النبوية الشريفة ، وظل يشنف أذان مستمعيه بتنازيله البديعة ويثلج صدورهم بسرد أحاديثه[2]) ثم سكن في محلة فضوة عرب في منطقة باب الشيخ مع زوجته وأولاده وعينته دائرة الاوقاف بوظيفة رئيس القراء بجامع المرادية وخصصت له حجرة واسعة في جامع الخفافين لا تزال شاخصة في الجامع ، وتتلمذ عليه الكثيرون بفن التجويد وكون فرقة خاصة لتلاوة المنقبة النبـوية

---

(١) الاثري .

(٢) مجلة المناهـل .

برئاسته لعبت دورا هاماً في الاشغال المولدية وتطويرها ، وادخل عليها الالحان الشرقية مصرية وتركية ..

وطار صيته وأشتهر اسمه كمرجع بالموسيقى والقراءات وفن المقام العراقي ولعب دورا هاما في تهيئة الجو وشحذ همم الجماهير البغدادية للثورة العراقية المجيدة ، وكان يتميز بزي المولوية الذي المحنا اليه في السطور السابقة والذي كان يرقص به في حفلات الذكر ، ووصفه الاستاذ الاثري بأنه كان (قوي البنية كبير الجسم ممتلئة ربع القامة أسمر اللون أشقر الشعر جهير الصوت بطيء الصوت يقوده احد تلاميذه وكثير من الناس) ووصفه الاستاذ مهدي أحمد المقلد لكاتب السطور بانه كن نهماً في الاكل . وبقى صورة أصيلة للفن البغدادي والعبقرية العراقية حتى وفاته في شهر كانون الثاني عام ١٩٢٣ (١٣٤١هـ) ودفن في مقبرة الغزالي في رصافة بغداد .

ـ ٢ ـ

قصة حياة وفن وابداعات هذا العبقري الكبير تبدأ من الموصل وتنتهي في بغداد ، وبين البداية والنهاية هذه يلمح الباحث آثارا ضخمة وأعمالا جيدة تستوجب البحث والدراسة والتنقيب تخص المومى اليه ، سواء في الموصل أو الاستانة أو القاهرة أو الشام[١] ، كما لمس القارىء الصديق ذلك في السطور السابقة ! وسواء في الموسيقى أو الشعر أو البحث أو الغناء أو قراءة القرآن ..... الخ . عليه فان الاقتصار على

(١) تذكر مجلة اليقين البغدادية انه سافر الى اليمن مجموعة ١٩٢٣

جانب واحد من حياة أو آثار عبقري متميز بارز كالحافظ عثمان الموصلي المولوي ، هو أقرب الى الفائدة في عكس صورة صحيحة أو ما يقرب من ذلك . ولهذا فاننا سنتحدث في الفصول التالية عن صور وملامح ولقطات ومواقف عنه في بغداد مؤكدين على أثر هذا الانسان الفذ في الحياة العامة في شتى مظاهرها وصورها .

ـ ٣ ـ

لمس القارىء في المورد السابق ان حياة الموصلي في بغداد هي أطول وأخصب من حياته في كل المدن والاقطار التي أقام فيها وعاشر أهليها ، منذ مجيئه حدثاً ونزوله في دار أحمد عزت العمري حتى رجوعه من الاستانة للمرة الاولى .. ولمس أخذه أصول المقامات والقراءات من أرباب الفن في بغداد واتصاله بعلمائها وشيوخها .. فهو ثمرة من ثمرات هذه المدينة المعطاء ، لكنها الثمرة التي تلاقحت بشتى الاجواء والامكنة ولهذا جاءت ملونة متفاعلة تحوي شتى صنوف الابداع والحيوية والابتكار . ففي فن تجويد القرآن الكريم وتلاوته وفق أصوله وقواعده ، كان الرجل يبدع ويجيد ويدهش السامعين المأخوذين ، يقول الاستاذ الاثري (.. كان يقرأ القراءات العشر بتفريع وتنقل يدهش السامعين فكان بعض الناس يتوهمون انه غلط فيردون عليه ، فيصرخ (أسكت ليس بشغلك !) ، ومما كان يزيد حسن صوته الرخيم الذي يملأ النفوس ويستفز الشعور تجويده للقراءة وأداؤه المعاني حقها . كان يهول حيث يجب التهويل ، ويتلطف

حيث يجب التلطف ، ونحو ذلك مما لا يعقله الا العالمون بمعـــاني التنزيل ومواقع الكلام ..) فهو من هذا الجانب ثروة فنية لا تقـدر بثمن او توزن بمعيار ، ويكفي الاشارة انه اثر في جيل قراء القرآن في جيله وفي الجيل الذي تلاه حتى السنوات الاخيرة ، حيث كانت بغداد تفاخر بعنادل قراء القرآن على الطريقة العراقية ، ويكفي ان نذكـــر تلامـــذته والذين تلقوا أصـــول التلاوة والنغم عنـــــه ، وهم الملا مهدي الحافظ والعلامة عبدالقادر عبدالرزاق الخطيب والحـــافظ عبدالفتاح معروف والسيد محمود الهاشمي[1] .، وهم عمدة هذا الفن في بغداد ، وقد اسمى عدد من المهتمين بفن التجويد طريقة بالعثمانيـة نسبة اليه ، وبهذه المناسبة يذكر الحافظ عبدالفتاح للمؤلف ان عثمان الموصلي كان يختبر تلامذته ويطلب منهم الغناء على هواهم واذا ترددوا ، وامتنعوا عن ذلك فانه لا يدرسهم !

- ٤ -

وللملا عثمان الموصلي شعر كثير في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم لم يجمع أكثره وقد نشر عند اقامته في القاهرة مجموعة بهـــذا الموضوع اطلق عليها اسم (الابكار الحسان ..) طبعـــت في ١٣١٣هـ هناك ، ثم طبعت طبعة خامسة كما جاء في الغلاف في بغداد عام ١٣٣٢هـ ، وهي تحتوي على تخميس لقصيدة الشاعر البوصيري المصري في مدح

---

(١) الحنفي ص ٨٨

الرسول وأخرى للشاعر البكري مخمسة أيضاً ، ولا يعد هذا التخميس شيئاً اذا قورن بجهده العظيم الهائل في نظم التنزيلات وكلها أو جلها خاصة بهذا الموضوع • وفيما يلي نثبت للقارىء نموذجاً من التسميط كدليل على مقدرة الملا في الصناعة الشعرية :

لقــد انقطعت لمدحه متجردا   عما سواه فنلت عيشاً ارغــدا
وبرغم خصـــم لا يزال مفنــدا   **(اني امرؤ قلبي يحب محمــدا**
ويلوم فيه لائمـاً وعذولا)

من ذكره ما الصب بــل غليله   الا اشتهى طول المدى ترتيلـه
قل لي وزدني من ثناء طويلـه   **(أاحبه ، وامل من ذكري لـه**
ليس المحب لمن يحب ملولا)

والباحث لحياة الملا الفنية والعلمية والاجتماعية في بغداد يلمس زاوية من تلك الحياة هي مراثيه لآل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد خمس (بائية) الشـاعر المعروف عبدالبـاقي العمري المعروفة بالباقيات الصالحات • وطبعها مع الابكار الحسان المشار اليه ، وهـــذه البائية خاصة في رثاء الامام الحسين ، كما وخمس أبيات الامام الشافعي في آل البيت وله تخميس آخر لشعره في نفس الغرض في الطبعـة الأخيرة المذكورة • ونذكر للقارىء تخميسا واحدا لمطلع الباقيـات الصالحات وفيها يبين غرضه من التخميس لتلك القصيدة ، قال :

مذ شب زند الفكر بعد ان خبا   قمت لمـدح آل طـــه معربا
مسمسطا اوصافهم فيما احبتى   (هـذا الكتاب المنتقى والمجتبا
في نعت آل البيت اصحاب العبا)

وله الى جانب ذلك كثير من الموشحات (التنزيلات) في مدح آل البيت ، منها قوله :

صاح اسئل من ذوي العرفان — عترة المختار عالي الشان
كم حبونا جوهراً مكنونا — في كتاب عنه نلنا الدينا
لم يزل قلبي بهم مفتونا — والمغنى في هواهم عاني

وهذه التنزيلة وأشباهها كانت تنشد في حفلات المولد النبوي من قبل شغالة جماعة الملا عثمان . ويذكر المعاصرون له شخصاً موهوباً هو الآخر من قراء المقام البغدادي وممن تتلمذ على شلتاغ وابو حميد في هذا الفن . وهو عباس قوزي من أبناء محلة سويدان في بغداد والذي اشتهر بقراءة قصة استشهاد الحسين بن علي في مجالس العزاء ، وبين عباس وعثمان انسجام وتآلف غريبين يتجلى عند حضورهما حفلات المولد النبوي أو مجالس العزاء[1] ، وللتاريخ نسجل ان التآخي بين أبناء بغداد والتصافي بين طوائفهم بلغ أقصاه قبل الحرب العالمية وخلالها وحتى قيام الثورة العراقية ، اذ كان الجميع يحتفلون بمولد الرسول ويسهم الجميع في مجالس العزاء ومواكب السباية والتشابيه وما الى ذلك، وهناك قصائد وأهازيج باللغة العامية البغدادية لا تزال تردد عباراتها على أفواه المعمرين .

---

(١) وقد اشرنا في القسم الاول الى قصة نفي عثمان الموصلي بأمر الوالي ونشير هنا الى ان النفي شمل صديقه عباس أيضاً ، وسبب النفي كما افاد الكثير هو عدم حضورهما حفلة رسمية تتلى فيها قصة المولد النبوي فصبغ الوالي ذلك بصبغة سياسية كما بينا .

لقد أشير في مكان آخر انه قام بتدريس الموسيقى في احدى مدارس استانبول ، وقام بدور فعال في تلقين الموسيقى التركيـــة الى أرباب الموسيقى والغناء في مصر وسورية ، وذلك في ختام القـــرن الماضي ، وأكد كل الذين عرفوه واتصـــلوا به انه يجيد اجادة تامـــة استعمال الآلات الموسيقية الشرقية ويذكر تلميذه المرحوم العـــلاف انه كان في معيته في محلة الحيدرخانة وفي الطريق سمع نغم عود من أحد البيوت فوقف يستمع اليه ثم نادى ضارب العود ..

ـــ يابه خربت مال الناس .. اغـــاني .. وتر النوى نازل .. وعلى صوت الملا الجهير خرج ضارب العود وبيده آلته فتناوله وأصـــلح الوتر[1] ... وهذه الحكاية سمع كاتب السطور ما يشبهها من صديق الملا عثمان المرحوم سيد محمود الاطرقجي ولكن في منطقة أخرى هي منطقة قمبر علي . نستنتج من ذلك ان صاحبنا موسيقار موهوب عملياً ونظرياً كما تبين ذلك .

وهنا يجدر بنا الاشارة الى ان الموسيقى في عهد ملا عثمان الموصلي وما سبقه لم ينظر اليها بعين التحريم والتزمت بل كانت تعتبـــر من وسائل التعبد عند اتباع الطريقة المولوية والموسيقى ترافق حفلات الذكر عندهم ، ولا يزال الدف يستعمل عند الطرق الاخرى بالاخص الرفاعية وعند اقامة حفلات المولود حتـــى الآن . والاشارة أيضا الى شـــيوع استعمال الآلات الموسيقية الانفرادية عند جمهور البغاددة في الجيـــل

(١) مجلة المناهل .

الماضي ، اما الموسيقى الجماعية فكانت تتمثل في الجالغي البغدادي الذي يرافق المغني في المناسبات ، أو في المقاهي الكبيرة في بغداد . وعلى ذكر الجالغي البغدادي فيجدر بنا الاستشهاد ببحث الاستاذ جلال الحنفي وملاحظته القيمة وهي ان (المواسقة والآلاتية في بغداد الذين عرفوا واشتهروا بالعزف على الجالغي البغدادي في القرن الماضي انهم كانوا من المسلمين جميعا ثم تراجعوا عن ذلك الى اليهود فان حوكي بتو المولود في بغداد سنة ١٨٤٨ أخذ صناعة العزف على السنطور من محمد صالح السنطورجي وكذلك أخذ عنه حسقيل بن شمولي .. وكان ناحوم بن يونه من مشاهير العازفين على الكمانة قد أخذ صناعته من نسيم بن كحيله وهذا أخذها من لطفي بن رزيج وهذا تلقاها عن بكرة الكردي ، وكان حسقيل بن شونة المولود سنة ١٢٥٧هـ قد أخذ فن الايقاع على الدف من خطاب بن بكر الشيخلي وقد أخذ عن خطاب أيضاً شمعون زنكي فن الايقاع على الديرزان .. وكان من مشاهير العازفين على القانون في الجيل الماضي اسماعيل بن أحمد وقد أخذ عنه خضر بن طماشة المولود في بغداد سنة ١٢٤٨هـ . وكان من مشاهير الموقعين على الدنبك في الجيل الماضي عباس بن كاظم قره جويد المولود في بغداد سنة ١٢٥٨هـ . وممن أشتهر في الايقاع على الدنبك عزيز بن كور باشا المولود في بغداد سنة ١٢٧٨هـ . وقد أخذ فنه من كاظم بن قره جويد ، وهكذا كان هذا الضرب من الفنون مما لا يتحاشى جماعة المسلمين تعاطيه يومئذ .) ، وعلى هذا الاساس ، فان الموسيقى عريقة في بغداد في عهد عثمان الموصلي وما سبقه ، الجماعية والفردية منها على قدم سواء .

والملا لم يمارس الموسيقى في التخت البغدادي لاسـباب عدة ، ولكنه خدم الموسيقى بتلحينه العديد من الاغاني المتداولة اضافة الى تلحينه العدد الهائل من التنزيلات المولودية التي كان ينظم كلماتهـا في اكثر الاحيان • انه بحق وجدارة رائد الموسيقى العراقية الحديثة ومعلمها الاول !

— ٦ —

للملا عثمان تنسب الآن اكثر من فرقة غنائية او جماعـة في الموصل ؛ ولعل اكثر المعجبين بغناء الملا يجهلون انه درس أصول غناء المقامات العراقية على شيوخ المقام في بغداد • وانه عاصر نهضة غنائيـة عظيمة في بغداد ايضا • وقبل التوغل في الحديث فى هذا الباب نقف قليلا لنزيل فكرة عالقة بأذهان اكثر المولعين بالمقام العراقى ، ذلك انهم يفرقون بين الطريقة الموصلية والطريقة البغدادية في الاداء ، وقد ازال هذا الوهم الاستاذ محمد القبانچي في حديث له في تلفزيون الموصـل في الصيف الماضي اختصرته جريدة الرسالة الموصلية في عددهـا الصادر في اواخر شهر تشرين الثاني من هذا العام، وخلاصته ان جوهر المقام واحد والتحرير لم يختلف • فالمقام واحد هو المقام البغدادي • وقراء المقام الذين عاصروا عثمان الموصلي منهم احمد زيدان البغدادي (توفى في ١٩١٢) وامين اغا (توفى ١٣١٠ هـ) والحاج جميل البغدادي مـن مواليد (١٢٩٤ هـ) وخليل ربازين ابراهيم (توفـى في ١٣٢٠ هـ) ورحمة الله بن سلطان اغا المشهور بلقب شلتاغ (توفى في ١٢٨٨ هـ)

وعبدالله الكركولي وكور رشيد بن مصطفى (توفى ١٣٤٨هـ) وغيرهم وكلهم شوامخ في فن المقام البغدادي ، وتعلم الفن على بعضهم كما تأثر باخرين او بتلامذتهم ومن يقرأ على ططريقتهم . وبرز الشيخ بالغناء سواء منه ما يخص الغناء العام او قراءة المولود النبوي ، ولم يذكر احد ممن سمع غناءه انه غنى مع احدى فرق الجالغي ، ولكن لا يستبعد ذلك وعلى نطاق ضيق . ويصف الاستاذ الاثري غناء الملا عثمان ، بانه اصبح من ضروريات الحياة اليومية في بغداد (. . فما كانوا يسمعون به يقرأ في بيت الا وانسلوا اليه من كل جذب وضاق به المكان بالشيب والشبان[1]) .

ويصف صوته الشيخ الحنفي بانه غليظ وفيه بحة[2] ويقول الحافظ عبدالفتاح معروف ان عذوبة صوت الشيخ تأتي من تلك البحة التي سحرت الناس . واحتفظ كثير من المعجبين بغنائه بأسطوانات شمعية ومنهم محمد صالح الخطاط وفي رأى المؤلف ان بروزه في الغناء يرجع الى موهبة صوته في الدرجة الاولى والى اتقانه اصول المقامات البغدادية مضافا الى ذلك اتقانه لنحو اللغة وصرفها ودراسته العميقة لفن التجويد مع حس موسيقى دقيق .

— ٧ —

وسرعان ما اصبح صاحبنا ريحانة المجالس ومحبوب الجماهير البغدادية الخاصة والعامة ، فهو يغشى البيوت العامرة في المناسبات لقراءة

(١) المصدر السابق .

(٢) المغنون البغداديون ص ٨٨ .

المولد النبوي ويدخل المجالس الخاصة التي يفتحها ذوو العلم واليسار في الجيل الماضي وتسمى (الدواوين) ، وللملا عثمان المكان اللائق فيها ، يسمعون منه الحكايات عن سفراته وجولاته ويأخذون رأيه في مسائل التجويد والمقام والشعر واخبار التاريخ ومواضيع اللغة والفقه .. وهو يخوض كل موضوع ويبدي رأيه فيما يطرق اهل المجلس من مسائل وبحوث . فله مكانه عند آل الالوسي البغدادي حيث يذكرون فضله في طبع الاجوبة العراقية في استانبول عام ١٣٠٧ اى بعد نفيه بأقل من اربع سنين ، وفضله ايضا في طبع الطراز المذهب في القاهرة عام ١٣١٣ عند اقامته فيها ، وكلا الكتابين من آثار علامة بغداد ابي الثناء الالوسي ، والعمريون ولا شك يذكرون فضله في جمع ديوان شاعرهم المبدع عبدالباقي في القاهرة عام ١٣١٦ ، وهو صديقهم ولهم الفضل في الاخذ بيده كما مر ذلك على القارىء . وهو يدخل مجالس نقباء اشراف بغداد ويقرأ في جامع جدهم الكبير عبدالقادر الكيلاني ، كما ويحضر مجلس المرحوم السيد ابراهيم الراوي في جامع السيد سلطان علي وله دوره في القراءة في حفلات الذكر الرفاعية وله ايضا المدائح الكثيرة في حق السيد احمد الرفاعي كما اخبر المؤلف الشاعر السيد خاشع الراوي الرفاعي ابن اخي الشيخ ابراهيم ، وهو المقدم في مجالس علماء منطقة باب الشيخ حيث يسكن هناك ومنها مجلس آل الواعظ اذ ارخ زواج الاستاذ ابراهيم الواعظ بقوله :

بعرسك هتان المنى قال ارخوا
زفافك ابراهيم سح به خير[1]

١٨٨ ٢٥٩ ٦٨ ٧ ٨١٠ = ١٣٣٢ هـ

(١) الروض الازهر ص ٤٩٨

وكان يحضر مجالس الوعظ الكثيرة ومنها مجلس وعظ المرحوم الشيخ قاسم القيسي مفتي بغداد السابق على ما اخبر المؤلف نجلـه الكبير الاستاذ عبدالوهاب القيسى حيث كان يقرأ القرآن متطوعا ويقوم بمناقشة الواعظ في مسائل علمية ، كما كان يحضر بصورة دائميـة مجلس وعظ الشيخ نجم الدين الواعظ مفتي بغداد في جامع العادليـة ووعظ الشيخ مصطفى الطويل في جامع القبلانية .. ويذكر الشيـخ الاستاذ محمد بهجت الاثري ان شيخه العلامة محمود شكري الالوسى كان قد اشترط على ملا عثمان عندما درس عنده في جامع الحيدرخانة علوم اللغة حفظ ما يلقيه عليه عن ظهر غيب .. يقول الشيخ الالوسي (فكان لا يمر على الدرس مرة واحدة الا ويحفظه بلفظه من غير ان ينقص منه او يزيد عليه[٢] وكان صديقا للصحافيين ومنهم الشـاعر الاستاذ محمد الهاشمي والمرحوم عبداللطيف ثنيان والشاعر عبدالرحمن البناء ، وعلى ذكر الاخير فان الاستاذ فؤاد عباس يحفظ للحافظ عثمان ابياتا في رثاء والد البناء واسمه بطي .. ويؤرخ وفاته بقوله .. بطيء الى الجنات سار سريعا ..

والحافظ عثمان لم يقصر صلاته على الخواص والعلماء واهـل الجاه . بل كان يحب الاختلاط بالعامة من ابناء بغداد ، يعبر الجسر ويجلس في رأسه من جانب الكرخ ليسمع غناء البقال ابن دوكـه الحبشى وهو يغني لعذوق التمر في دكانه :

عـــدد على امـــه ونـاح   بين السواجي والنخل طاح

---

(٢) مقالة الاستاذ الاثري .

فيأخذ الشيخ بالبكاء على غناء ابن دوكه الشجي ، وهو يغني للباعة على تمره • ويتجه الى سوق الجديد ليجلس عند دكان الاخوين الحاج احمد معروف واخيه تلميذه عبدالفتاح ، ثم يقصد دكان صالح النجار في محلة ست نفيسة الذي كان يكتب قصائد الملا ويؤطرهـا ويعلقها في دكانه على ما اخبر الكاتب السيد عبدالكريم سيد عبود • وكثيرا ما يذهب الى شريعة خضر الياس ليأكل الباجة عند ابن طوبان !

– ٨ –

وللحافظ في بغداد نوادر كثيرة لا تستوعبها هذه الرسالة ، تدل على ذكاء وألمعية وسرعة بديهة ، منها انه كان يلعب على كافة الآلات الموسيقية المعروفة باتقان ، ويلعب (الدامة) و (الشطرنج) مع انه كما يعلم القارىء ، كفيف البصر ، ومنها انه لا ينسى انسانا اذا صافحه مرة واحدة ، بل يعرفه مهما امتد الزمن ، وانه اذا سمع انسانا فيقدر عمره على نوع الصوت • ويذكر صديقه الاستاذ عبداللطيف ثنيان انه • • مر معه ليلة في سوق • • وبينما نحن نسير ونتحدث اذ ضربت بعصاي باب حانوت ، وقلت له : هذا حانوت صاحبك فلان ، فقال : كلا •• بل حانوته ، الحانوت الآخر الذي يلصقه[1] ويذكر ثنيان نادرة اخرى انه كان في دار احد السادة الكيلانيين ، وكان هناك احد المولوية وهو يقرأ ، ويمد رأسه تارة ، ويقلبه يمينا ويسارا تارة اخرى، ولم يسكت •• فضجر الشيخ عثمان وصاح •• يا غلام هات دنبكا !••

---

(١) من لغة العرب – ع ٦ – ١٩٢٦ •

فاتاه به . ونحن نظن انه يريد الضرب عليه ، اذا به يضربه ، فخرق الجلد ، وجعله على رأسه يقلد به قلنسوة المولوية ، واخذ يقرأ ، ويتواجد ، مقلدا الرجل اعظم تقليد حتى مللنا من الضحك ..)[2]

ومنها انه كان يجري اختبار قراء القرآن في جامع الخفافين ، وهناك قارىء بصوت غير مقبول فأراد افهامه ذلك ، فقال له (تصورني ميت واقره علي) ، فامتد في المجلس بطوله وعرضه وضخامة جسمه ..

ومنها ما ذكره الاستاذ عبدالحميد السيد حمودي للمؤلف انه شاهده في جامع الخفافين يعلم احد القراء التجويد ، وهو يقرأ بصوته العذب الحنون ، وكان يلتهم الكباب والخبز في وقت واحد ! واخيرا نسجل انه لا يقرأ منقبة نبوية الا ويقبض مقدما ليرة ذهبية ، وبقت هذه طريقته على الرغم من صدور الاوراق النقدية في اواخر عهد العثمانين ، وبعد الاحتلال .

ـ ٩ ـ

وللملا عثمان الموصلي مواقف وطنية في وجه المستعمر الانكليزي ، وذلك بعد ان اجمعت الاحزاب الوطنية كجمعية العهد وحزب الحرس والشباب الوطني في بغداد ، على تهيئة الجو للثورة الوطنية المقدسة في عام ١٩٢٠ وشحذ همم الجماهير لها ، حيث كان يخطب في الجماهير في الاجتماعات الشعبية في جوامع بغداد الكبيرة كجامع الحيدرخانة وجامع شيخ صندل وجامع براثا وجامع الكيلاني وجامع سيد سلطان

(٢) المصدر السابق .

علي وجامع الخلاني ، بعد ان يقرأ نتفا من حياة الرسول وجهاده في سبيل العقيدة والرسالة بصوته الساحر الجذاب ، وقد حضر اول اجتماع عام في آخر ليلة من شهر شعبان سنة ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠)[١]
وفي اهم اجتماع في جامع الحيدرخانة في ليلة ٦ رمضان ، قرأ الحافظ القصة النجدية وغنى الاشعار بالمناسبة في الجامع الكبير ... وهنا يصف المرحوم الاستاذ ناجي القشطيني هذا الاجتماع التاريخي وصف عيان ومشاهدة ، قال[٢] ... وافتتح الاحتفال بايات من الذكر الحكيم واعقبها المقرىء المعروف المغفور له الحافظ عثمان الموصلي بتلاوة المنقبة النبوية الشريفة ويحمس الناس ! ثم تعاقب بعده الخطباء والشعراء وتطور الحفل الى مظاهرة صاخبة هز صداها ارجاء العاصمة وتعداها الى سائر الانحاء العراقية ..) ويذكر السيد عبدالكريم السيد عبود في حديث له مع المؤلف انه كان يحضر كافة الاجتماعات في الجوامع بهذه المناسبة ويقرأ المنقبة النبوية ويصور جهاد سيدنا الحسين ثم يخطب بالجماهير المحتشدة . ويذكر السيد احمد عزت المصرف للمؤلف ايضا انه شاهده يخطب ويقرأ المولود النبوي في جامع الشيخ الكيلاني وجامع الخلاني في بغداد . ويشير المرحوم العلاف في مقالته في مجلة المناهل البغدادية انه (اخذ يخطب الناس في جامع الحيدرخانة ويحثهم على المطالبة بالاستقلال ...)[٣] .

---

(١) الحقائق الناصعة للسيد الفريق المزهر (ص ١٢١)
(٢) ديوانه (اللهفات ص ٢٥٦) .
(٣) المصدر السابق .

- ١٠ -

وبقى الرجل عاكفاً على عمله في تدريس التجويد في جامع الخفافين ، وقد يطيب له المبيت في غرفته في الجامع ، او يذهب الى بيته ، او يتجول في بغداد في الجانبين يزور احبابه واصدقاءه ، يداعب هذا او يلاعب ذاك ، او يلقي درسا في الغناء او العروض على آخر ..
وصار بغدادياً بعد ان احب القوم واحبوه ، حتى انه لم يتحدث مع تلامذته واصدقائه بلهجة ابائه واجداده ، بل كانت لهجته بغدادية نقية ، وان زيه الموصوف في هذه الدراسة ، وهو زي المولوية قد غيره واخذ يلبس في رأسه الكشيدة البغدادية على ما يقول الاستاذ محمد الاثري في دراسته عنه ، وذلك قبيل وفاته بثلاثة اعوام .

انه عبقرية نادرة من عباقرة بغداد العظيمة في الجيل الماضي ، رقق الاذواق وازاح الهموم وبث روح الصفاء والاخاء بين المواطنين ، واعطى درسا في الوطنية الصحيحة عندما كان يخطب في الجوامع وتذرف عيناه في الدموع ، يدعو اهل بغداد على مناهضة المستعمرين قبل اشتعال الثورة العراقية الباسلة .

(القسم الثاني)

دوره في تطوير قراءة المولد النبوى البغدادى

ولم يجد هذا العبقري البصير مجالا للمواهب الفنية المتعــددة التي يحملها بين جنبيه ، تنجلي فيها تلك العبقرية النادرة ، وتبــدع في آفاقها المترامية الواسعة ، لم يجد الشيخ عثمان الموصلي متسـعا للشعر وللموسيقى وللغناء وللحركات الايقاعية ، ان تجتمع في فـن واحد جامع لهذه الفنون بطابع متميز وقوام خاص يتقبلها الجمهـور ويهتز لها الا في قراءة المنقبة النبوية وفق اصولها وتبعا لقواعدها . فتم له ما اراد .. وتوفق وظفر وملك قلوب الجماهير في بغـــداد واطرافها ، فكانت حفلات المولد النبوي في بغداد قبل سفره ونفيه من قبل والي بغداد العثماني ، وبعد رجوعه قبل الحرب وفي خلالها ، كانت من ايام بغداد الزاهرة الرائعة التي لا يزال صداها يتردد حتى اليوم وبعد مرور اكثر من نصف قرن من الزمان ! عن طريق تلامذتـــــه والآخذين بطريقته وفنه الرائع السامي . لقد قام بدور هام في ارساء قواعد هذا الفن الجميل بما ادخل عليه من التنزيلات والالحان والانغام والحركات بأختيار دقيق للشغالة والحداية والرواد وقراء المقام . ولا نكران ، ان عبقرية (عثمان الموصل) ، ما كان لها ان تتفتح ويتم لها البروز والازدهار ، لو لم يلمس الاصول الاولى والتنزيلات المتداولـة والانغام التي يترنم بها قارىء المولود النبوي في شتى المناسبات . لقد حفظ وطور طقوس هذا التجمع الجماهيري الذي صان تراث الشعب العراقي من شعر الى غناء ، من تخريبات الغزو الاجنبي ومن موجات البدو الجاهلة ، ولا شك ان الاحتفاء والاحتفال بمولد الرسول الكريم مما يحمس الناس الى التعلق بهذا الفن الرائع بأصوله الفريـــدة المتعارف عليها .

لمس القارىء في الفصول السابقة ، مـدى عبقريـة الحافظ عثمان الموصلي ورسوخ قدمه في الفنون المتداولة في عصره من الشعر الى الموسيقى الى الغناء الى تلاوة القرآن الكريم الى سواهبه الاخرى ٠ وفي الفصول التالية نتحدث عن جانب آخر وصفحة جديدة لم تفت الكاتب من الاشارة العابرة اليها في الفصول السابقة وهو الدور الهام الذي قام به عثمان الموصلي في احياء ووضع وتجديد قواعد المولــود النبوي البغدادي بصورة فنية مدروسة تنسجم مع أذواق الجمهور البغدادي الذى تقبلها وتعلق بها حتى صارت ضرورة من حياته اليومية في الجيل الماضي ، وقد توفق الرجل في ذلك لانه يملك كل الادوات اللازمة لهذه المهمة ، من صوت جيد الطبقة ومعرفة تامة باصول المقام البغدادي والمام تام بفنون الموسيقى وشاعرية فذة بالفصحى ولغـــة العوام وقوة شخصية وذكاء لماح تجعل منه قائدا موسيقيا من الدرجـــة الاولى ! فشهرته في هذا السبيل طغت على مواهبه الاخرى ، كما انه انصرف اليهـــا انصرافاً تاماً حتى وفاتـه ، وكانت مورد رزقـــه ورزق فرقته ٠

ولا نكران ، ان عبقرية عثمان الموصلي ما كان لها أن تتفتـح ويتم لها النمو والبروز والازدهار ، لو لم يلمس الاصــول الاولى والتنزيلات المتداولة والانغام التي يترنم بها قارىء المولود النبوي في شتى المناسبات ، فهو وجد تراثاً شعبياً متداولا بين الناس لكن تعوزه مقومات التجديد والخلق والابداع ، فتم له كل ذلك بعد أن تواجدت التربة الخصبة للثمرة الناضجة ٠

وقصة المولد النبوي وما يحيطها من مراسم وشكليات لم تعرف قبل القصة التي كتبها المؤرخ ذو النسبين المتوفى فى ٦٣٣هـ لصاحب اربـل ومنها شاعت في بغداد وانتشرت الى سائر الاقطار(١) .وهي تروي حياة النبي صلى الله عليه وسلم منذ ميلاده وفتوته وبث دعوته وجهاده وايامه كل ذلك (في أسلوب خاص فيه ترغيب وترهيب يجري فيه النظيم والنثير ..)(٢) ، وأنواعها كثيرة جدا ، والمتداولة بين أهل الحرفة في أيامنا هذه هي القصة التي تسمى (البرزنجي)،واخرى تسمى (البكري)ولها اصولها وقواعدها كما بينا في السطور اعلاه.اذ يجلس القارىء بصورة اعتيادية على كرسي ويجلس بين يديه افراد فرقته ويحمل أحدهم الدف ، ويرأس الفرقـة رئيس لهم يسـمى (الخلفة) ، وينقسمون الى روادید وحداية وقراء مقام واصطلح على تسـميتهم (بالشغالة) وهم يتبعون اشارة الخلفـة المرتبطة بالقارىء مباشرة ؟ فعندما يقرأ القارىء فصلا من القصة النبوية أو جزء من الفصل ، يقف في مكان ما فيأتي دور الخلفة بقراءة التنزيلات مع جماعته بشـكل خاص ينسجم مع المقام الذي قرأ به القارىء أي فصل من فصـول المولد . ويتداول الشغالة تلاوة التنزيلات من الروادید الى الحداية ، ثم يسكت الجميع تاركين الجو لقارىء المقام البغدادي وبعده يعـود

(١) الفولكلور في بغداد (للمؤلف) ص (٨٧) .

(٢) مجلة الرسالة الاسلامية (بغداد) ع ٣٤ مقال الاستاذ مصطفى نعمان البدري .

القارىء الى تتمة الفصل التالي من القصة وهكذا ... وتتكون القصة من أربعة فصول تتخللها فترة استراحة ولكل فصل مقامات خاصة اعتاد القوم على قرائتها في وقتها المناسب ذكرها الاستاذ الحنفي في كتابه[1] ، ويشترط الانسجام التام في الشكليات هذه وفي وضوع قصة الرسول الكريم . كما وان للنساء لون خاص من المولود لا مجال لتفصيله[2] .

وأشار العلاف الى استعمال الدف في حفلات المولد النبوي مع ترتيل التنزيلات لضبطها وعدم خروج مرتليها عن الوحدة الموسيقية[3] . وكانت لحفلات المولد اهمية كبرى في حياة بغداد الفنية ، تقام في البيوت وفي المساجد وفي المقاهي وفي الساحات العامة وغيرها ، وفي النهار بعد صلاة الظهر حتى صلاة العصر ، والمهم منها ما يقام في الليل بعد صلاة العشاء وحتى مطلع الفجر ، والدخول اليها مباح للمدعوين ولغيرهم ويحضرها الرجال كما ان النساء يشاهدن الحفلة من وراء حجاب أو من سطوح الدور ، وله أصول دقيقة حسب المناسبات ، فمولود العرس والختان والقدوم من الحج يمتاز بجو المرح والانشراح ومولود الاحزان بعكسه ، وبلغت حفلات المولود منتهى درجتها في عهد الملا عثمان وفي عهد الملا مهدي الحافظ ، ثم دب اليها التخلخل بعد الخمسينات لاسباب عدة .

---

(١) الحنفي المقدمة .
(٢) مجلة التراث الشعبي (مجموعة السنة الثالثة)
(٣) الطرب عند العرب ص ٢٥٩ ـ بغداد ١٩٤٥ .

ولابد لدارس اثر الملا عثمان واثره الظاهر في المولد النبوي وفي نظم التنزيلات وتلحينها من الاشارة الى شاعرين اشتهرا في هذاالشان وقد سبقاه في ارساء قواعد المولد وفي نظم الموشحات وتلحينها ، وهما الشيخ سعدي بن محمد امـين الموصلي ، والمـلا زيني الشيخلي البغدادي ، واولهما كصاحبنا الحافظ .

ولد في الموصل ومات في بغداد ودفن في جامع الفضل ، وأشار الشيخ الحنفي أنه قد غذى موضوع الموالد النبوية تغذية واسـعة فكثير من الاشغال المولدية هي من منظوماته ، ، وقد عاش الاول في عهد الوالي داود ، وعاصر الثاني عثمان الموصلي أو سبقه قليـلا وكان من كبار قراء قصة المولد النبوي في بغداد .

هذا ، ولم يفت القارىء الى ان كافة مصطلحات فرق المولـود النبوي ، هي عامية التركيب من الشغالة الى الرواديد الى الحداية ... وان قوام هذه الفرق ، وهي التنزيلات هي لفظة عامية بغدادية أيضاً ، وقد عرفها الاستاذ الحنفي في الجزء الثالث (المخطوط) من كتابه « معجم اللغة العامية البغدادية » بما يلي : (التنزيلات النبوية ما يتلوه فريق من قراء المولد من ذكر أوصاف الرسول بالالحان) .

ونعود الى تنزيلات الملا عثمان الموصلي التي لا تزال متداولة بين قراء وشغالة المولد حتى الآن ولكنها لم تجمع حتى كتابة الرسالة ، وقد سمع المؤلف ممن أتصل بهم ان أحد تلاميذ الملا عثمان وهو السيد محمود الهاشمي جمع عدداً من التنزيلات في دفتر خاص ، كما ان أحد شغالته وهو حسين النمنم ابن علي من مواليد (١٢٩٨هـ) قد جمع

هذه الاشغال في دفتر ، لكنها لم تطبع ولم تحفظ في مكتبة عامة . كما ان الحنفي أشار الى ان عشرات التنزيلات تنسب لعثمان ، لكنه لم يذكر الا شطرين في مداعبة أحد شغالته ، ونسجل للتاريخ مشروع الاستاذ الحاج هاشم الرجب الذي نفذ جزء منه في تسجيل التنزيلات النبوية ومن أهمها تنزيلات الموصلي ، وذلك عندما كان رئيسا لقسم المقام العراقي في دار الاذاعة في عام ١٩٦٦ وقد تم له تسجيل تنزيلات استغرقت مدتها ست ساعات ، لكنها لم تتم بحجج واهية مع أشد الاسف ..

وهنا ندرج للقارىء مطالع أو نتفاً أو تنزيلة كاملة من تنزيلات ملا عثمان سجلها المؤلف من تلميذ الملا ومن شغالته الحافظ عبدالفتاح معروف ، ونقل بعضها من كتاب (عثمان الموصلي) تأليف الدكتور الاستاذ عادل البكري الموصلي ، والاخرى من مجموعة مخطوطة :ـ

صلي يا ربي على خير الانام وعلى الآل والصحب الكرام
اهل الغرام . دار السلام . لهم مقام . ثم سلم كلما ناح الحمام
فوق أشجار عليهم .. يا سلام

[×] [×] [×]

ناح الحمام القمري فوق الغصون
هيج قلب العاشق زاد الشجون

[×] [×] [×]

صلى الله على المدني محمد رفيع الشان

ما غنى عـــلى الفنن　　قمري عـلى الأغصان
كـــم لك تواصلني　　كم تنوي على الهجران

[x]　[x]　[x]

يا الهي بالتهـــامي　　ارتجـــي الامان[1]
ان لم ترحـــــم • زل القـــــدم • يا ربي لا تخزني
يرتجى (عثمان) عفـــوا من لظى النـــيران والخجلان
اذا قدمنـــا والامـلاك عادت تؤوي لـــدار الســـلام
يا عـــلام • ان لم ترحم زل القدم

[x]　[x]　[x]

يا راحلين اليـــه بالامان　　عـــلى النبي صـلوا
من كان يهوى جمال المبتسم　　مأواه جنـات عدن والامن
والله لاصيرمداح لهمواغني　　وأقول أحبابي غيبـوا عني

[x]　[x]　[x]

نلت المقـــام الاشرف　　لما علـــوت الرفرف
ناداك مـــن لا يوصف　　أهـــلا فنزه عينـــاك
يا راكـــب البراق　　يا خـارق الطبـــاق
(عثمان) غـــدا مغرم　　بآل المصطفى العربي
في مدحهماستغنى عن الكتب　　يا من قسم الدنيا مع الرتب

[x]　[x]　[x]

---

(١) يلاحظ القارىء اختلال الاوزان وتنوع القوافي وعلـة ذلك ان هذه التنزيلات معدة للانشاد والتلحين فقط .

املأ واسقنا صرفاً بلا مزج
واخلع العذار على ابنة الرهج
مخمور العيون والعيون الدعج
يبتغي الوصال منك ويسترجي

[×] [×] [×]

آه يا سيدي انت مقصدي
ارجوك تساعدني تأخذ بيدي
مالي غيركم أرجو قربكم
انتم لنا ذخرا بيوم الموعد
يا أهل الحمى واصلوا الظمى
شربة من لمى سيدي بيوم الموعد

[×] [×] [×]

نال العلا والفضل والنجاح
من كان في أشواقه قتيلا

[×] [×] [×]

للعاشق في الهوى دلائل لا يسمح من كلام عاذل
يا من رحلوا وخلفوني ابكي أسفاً على المنازل

[×] [×] [×]

هيمتموني يا آل ليلى الا تحرموني ان رمت نيلا
بلغ سلامي لسيد الاكوان واشك لهم يا صاح حالى

[×] [×] [×]

المح برقاً لاح من أرضكم أم ثغر ليلى بان لي مبتسم
يا آل طه قد غـــدا عبدكم مضنى عن الاشواق لا ينثني

يا عـاذلي من حبهم خلني

جمرة قلبي جففت عبرتي حتى استحالت عن دم مقلتي
يا آل ليلى همت من لوعتي منكم وقد ذبت وجسمي فني

[×] [×] [×]

لم يـــزل دمـــع عيوني هـــاطلا طول الزمـــــن
آل طـــه اوصلوني دمت في فـــرط الحـــزن
بان في الوجـــــد سقامي ذاب جسمي في الهــــوى
فيـــكم هاج غرامي نجـم صبري قد هـــوى
يا بني الهـــادي التهــامي عنـــكم طال النـــوى
فارحمـــــوا القلب وداووا القلب من نـــار الشـــجن
ايهـــا العـــاذل مهــــلا لســـت اصغى للمـــلام
انـــا دأبي حب ليـــلى منـــذ ناهزت العظـــام
فلـــكم امضيـــت ليـــلا لم يذق جفنـــي المنـــام
قيـــدتني في هواهـــا مـــذ رمتني في المحـــــن
ايهـــا القلب تأمـــل بأدعـــــــاء ومقـــال
بســـوى آل المفضـــــل لم تنـــل حلو الوصـــال
بهـــم لـــذ • وتسربل • راجيـــاً فيض النـــوال
عبدكـــم (عثمـــان) يحضى بالامانـــــي والمنـــــن(١)

والمجموعة المخطوطة نقلها السيد كامل النجم من مجمـــوعة تنزيلات قام بجمعها المرحوم جميل بن سيد أحمد أحد شغالة المـــلا عثمان في عام ١٩٤٧ ، وهي مجموعة فريدة توفق المؤلف بالاطـلاع عليها بفضل جهود صديقه السيد عزت المصرف • ننقل منها ما يلي :

(١) عثمان الموصلي – للدكتور البكري •

يا غزالا بالفـــلا ما اجملـك — هل ترى في قتلتـي من حلك
كنت لا تصبر عني ســاعة — علموك الهجـــر حتى لذ لك
يا غزالا كيـف عني أبعدوك — شتتوا شـملي وهجري عودوك
قلت داع الســود يا ريم الفلا — ان تسل عن مدمعي فهـو سفوك
ربنا لا تخــز (عثمان) اذا — نزل القبـــر ووافـاه الملك

●

مرضت سلوتي مذهب الصـبا — ولعت مهجتي في وادي قبـــا
منكم لوعتي يا اهــل الصبـا — يابنو المختار قلبي في هواكم هام
واصلوا (عثمان) من قد بات في الآم

●

في طاعة الغفار باري الحياته — آه بارى الحياته
من عترة المختار اكرع فراته — آه اكرع فراتـه
لا تتركوا (عثمان) بما يقاسي — ....

— ٤ —

ننتقل بالقارىء من هذا الجو الشاعري الجميل ، الذي تجلت فيه شاعرية هذا الفنان الفذ ، حيث كان يغذي عواطف الجماهير البغدادية بهذا اللون المحبب ، نعود الى مورد آخر يتصل اتصالا مباشرا في بحثنا ، وهو رسم صورة تقريبية لاثر حفلات قراءة المولد النبوي من قبـــل ملا عثمان الموصلي ! نراجع المصادر المعاصرة له ، فنقرأ تســـجيلا للعلامة أحمد عزت العمري (توفى في ١٨٩١) في كتابه العقـــود الجوهرية .. يشير الى انه .. اشتهر بحسن قراءة المولد الكريم .. فأومض فيها برق اسمه ، وعلا كعبه ورسمه[١] .. وذلك قبل رحلاته

(١) الدكتور عادل البكري .

الى خارج العراق ، ونستطلع رأي المعاصرين له عمن سبقهم ، فنسمع من الاستاذ مهدي مقلد انه سمع من شيخه السيد خضر القاضي والد الاستاذ السيد احمد منير القاضي ، ان علماء بغداد وأرباب قراءة المولد النبوي أرادوا اختباره في هذا السبيل فأقاموا حفلة خاصة تيلو فيها الملا قراءة المولد في جامع (علي أفندي) بعد صلاة الجمعة واستمرت حتى صلاة العصر وحتى الليل .. وقد ادهش الجميع بحسن التلاوة وروعة القراءة وجمال توزيع الاصوات وأداء التنزيلات حتى عقدت له الزعامة من قبل الجميع ، وأخذ نجمه يصعد .. ولم ينافسه منافس على كثرة القراء ووفرة المجيدين منهم في عصره ، عصر ازدهار المقام العراقي بشتى فنونه • وكانت رحلاته متنفساً لهم ، ولكن الى حين • اذ انه عاد الى بغداد في ١٩١٤ ، والقى عصا اليسار واستقر به النوى ، وعادت المواليد تقام بروعتها وجلالها وزاد اشتعال الحرب الكونية الاولى من ضرورتها للهزة الاجتماعية والنفسية التي ولدتها وحشد الشباب وكل طاقات أهالي بغداد الى ملاقات أهوال الحرب • وقد ذكر الملا في احدى تنزيلاته ذلك :

عسكرنا سفر بر　　　　هـلل ثم كبر

فكانت حفلات المولد تقام ليلا ونهارا وفي كل مناسبة ، وبالصورة الرائعة المعهودة (لمولود ملا عثمان) الذي سار مسير الامثال ! وقد اعتاد منذ مجيئه الى وطنه الثاني على اقامة المولد في داره في باب الشيخ ليلة كل جمعة ذكر ذلك للمؤلف صديقه الاستاذ كامل خميس وأيده أكثر أبناء المنطقة الاحياء !

هذا اللون النفيس من الفن البغدادي الاصيل الذي انتعش على يد الملا الموصلي ، والذي يعتبره الفولكلوريون من الفنون الجماعية الذي تتظافر فيه فنون عدة من الشعر والغناء والموسيقى (يستعمل آلة الدف فقط) ، الى حركات الرؤوس والايدى .. رسخت قواعده على يد هذا الفنان الكبير وتمثلت روعته على يد تلميذه القارىء والمغني الفنان المرحوم الحافظ مهدي (١٨٩٨-١٩٥٩) وقد بلغ الذروة في أواسط الاربعينات عندما كان يقوم على ادارة الدعاوة بغدادي أصيل هو الاستاذ أحمد زكي الخياط ، قام الخياط بدور هام في هذا السبيل في سنة ١٩٤٥ اذ جعل لشغالة مولود الملا مهدي العزاوي زياً خاصاً يقتصر على العمامة البغدادية وعلى الزبون والدميري بلون واحد ، وأعطى للقارىء الحافظ حريته بعمامته وجبته ، حتى انه أعد سبحاً خاصة لجميع الشغالة وبلون واحد أيضاً . ولم تتطور خطوة الخياط ، حتى غدا شغالة المولود مزقاً مختلفة من السدارة الى الطربوش الى حليقي الرؤوس .. الخ . بعد وفاة الملا مهدي وبعد ان ترك الحافظ عبدالفتاح معروف الميدان لغيره .

ونعود الى الملا عثمان ونقول ان المعاصرين له من قراء المولد كثيرون ، وأشهرهم الملا زينى الشيخلي ، والملا صالح البعقوبه‌لى والملا كور رشيد والملا أحمد عبيد الحلي والملا عبدالعزيز التكريتي[١]

---

(١) الحنفي ص (٨٥) .

وملاأحمد دبيس الشيخلي على مايقول الملاعبدالفتاح، ولكل فرقة قاريء من هؤلاء فرقته وبطانته بالصورة التي رسمت في احدى الالواح السابقة ، اضافة الى هذه الفرق ، فهنـــاك فرقتان هما فرقـــة ملا عبدالرزاق (توفى في ١٩٣١) والد الاستاذ محمد القبنجي[١] ، وفرقة ملا محمد على خيوكة ولد في ١٩٠٨ وهو والد المرحوم قاريء المقام حسن خيوكة ، وتضم كل فرقة عددا قليلا من الشغالة وبطريقة خاصة لعلها غير معقدة ، وهذه الفرق كانت تمارس اقامة حفلات المولود في طول المدينة وعرضها وفي خارج بغداد أيضاً ، ولكن علو صيت الملا عثمان وأبداعاته وتعدد الشغالة عنده وميل الجمهور اليه ، طغت فرقته على سائر الفرق الاخرى كما يقر بذلك كل المعاصرين لتلك الفترة من تاريخ العراق الفني ..

أما بطانة الملا عثمان وفرقته فكانت تتكون منه قارئا لقصة المولد ، ومن الملا أحمد شعبان (ولد في ١٣٠٠هـ) (خلفـــة) للملا عثمان ، واما الشغالة والمنشدون فهم كل من الحافظ عبدالفتاح معروف ولد في ١٣٠٩ هـ والحافظ مهدي ورشيد السودة ونجـــم النيار (الشيخلي) ولد في ١٣١١ هـ وملا عبدالله الخير وملا عيســى القيسي والملا ابراهيم بن ابو ندر (توفى في الثلاثينات)[٢] والملا حسين والملا احمـــد الزغير وعباس بن نشعة العدادة وامين الشيخلي ، حسب رواية الحـــافظ عبدالفتاح للمؤلف ، ويذكر الاستاذ الحنفي الملا مبارك من شغالـــة

---

(١) المصدر السابق .

(٢) الحنفي .

مولد المترجم له[1] كما ان العلاف يذكر في كتابه (الطرب عند العرب) قارئاً آخر هو محمود بن الطحانة . وهو اول رئيس فرقة له ، وخلفه احمد شعبان المذكور .

ويذكر الملا عبدالفتاح ان الشقيقين سيد كامل واخيه سيد جميل ولدا احمد ، كانا يمارسان العمل في فرقة الملا عثمان بصورة متقطعة . ولم نذكر اسماء قراء المقام الذين يحضرون مولود الملا لكثرتهم في عهده ولانهم لم يكونوا جزء من الشغالة حينذاك ، بل يقرؤن وفقا لمزاجهم بما يناسب المكان ، اما اليوم فقارىء المقام جزء من الشغالة كما جاء في موضوع خاص .

- ٦ -

وفي ختام هذه الدراسة ، التي حاولنا فيها اعطاء صورة عن حياة ومواهب ومواقف الفنان العراقي عثمان الموصلي ودوره الفعال في تنظيم وتغذية حفلات المولد النبوي في بغداد .. لابد لنا من التأكيد على جانب مهم بما يتصل في هذا الموضوع . ذلك ان الجماهير البغدادية بقواعدها الشعبية من الطرق الصوفية الى اصناف العمال الى قراء القرآن وما الى ذلك مما فصلناه في كتابنا رجل الشارع في بغداد ، بما فيها الصحافة البغدادية المعارضة للسلطة العثمانية والاحزاب السياسية التي لعبت دورها الفعال في اشعال ثورة العراق في عام ٩٢٠ ، ان هذه الجماهير قد جعلت من حفلات المولد واشباعه من الطقوس الدينية وسيلة الاجل الحفاظ على التراث الشعبي وعلى اللغة القومية وعلى العادات الحسنة دون التخريب والذوبان في الثقافة العثمانية الرسمية الغريبة عن البلد .

---

(١) المصدر السابق .

اضافة الى ذلك فأنها ـ حفلات المولد ـ جانب مهم من الفولكلـور البغدادي برز فيه الشعر العراقي الفصيح والعامي كلون خاص متميز بجانب الغناء البغدادي الأصيل والانغام الشجية التي ترافق ضـربات الدف ؛ حاولنا دراستها في هذه الرسالة التي نرجو ان تكون نقطـة البداية لدراسة او دراسات موسعة نقوم بها اكثر من واحد ممن يهمه دراسة واحياء التراث الشعبي في بغداد وفي القطر العراقي .



فهرس

١١/١٩

الموضـوع	الصفحة
القسم الثاني : دوره في قراءة المولد النبـــوي البغدادي	٣٣ـ٤٩
١ ـ مدخل الى البحث	٣٦ـ
٢ ـ حفلات المولد	٣٧ـ٣٨
٣ ـ تنزيلات الملا عثمان	٣٩ـ٤٤
٤ ـ نبوغه فيهـا	٤٤ـ٤٥
٥ ـ فرقـة ملا عثمان	٤٦ـ٤٨
٦ ـ خلاصة البحث	٤٨ـ٤٩

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٢٣ لسنة ١٩٧٣
تأريخ إنتهاء الطبع في مطبعة شفيق ١٩٧٣/١/١٣ عدد الطبع ٢٠٠ نسخة

اَلْمُوصِل
تَارِيخ وَتُرَاث



@MOSUL123